كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة

ابو صير وابو قير

الطبعة الثامنة عشرة



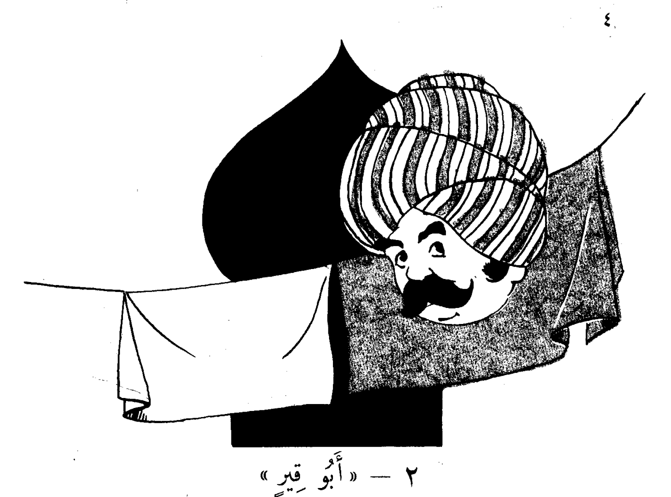
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

١ – «أَبُو صِيرٍ»

كانَ فِي ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَلَّاقٌ ذَكِيٌّ ، حَسَنُ ٱلْخُلُقِ ، طَيِّبُ ٱلْقَلْبِ، ٱسْمُهُ : «أَبُو صِيرٍ» . وَكانَ فَقِيرًا جِدًّا لا يَجِدُ قُوتَ يَوْمِهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلنَّفْسِ. وَكانَ يَشْكُو ٱلْكَسادَ وَيُفَكِّرُ فِي تَرْكِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَٱلسَّفَرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ يَتَرَقَّبُ ٱلْفُرَصَ .





٢ — «أَبُو قِيرٍ»

وَكانَ بِجوارِهِ صَبَّاغٌ ماهِرٌ فِي صِناعَتِهِ ، وَلٰكِنَّهُ ماكِرٌ خَبِيثٌ سَيِّئُ ٱلسُّمْعَةِ ٱسْمُهُ : «أَبُو قِيرٍ» . وَكانَ هٰذا ٱلْجارُ شَرِهًا طَمَّاعًا . وَهُوَ مِثالٌ لِلْغِشِّ وٱلْخِداعِ وَٱلْمُماطَلَةِ : إذا حَدَّثَكَ كَذَبَ عَلَيْكَ ، وَإذا وَعَدَكَ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ، وَإذا ٱئْتَمَنْتَهُ خانَكَ . فَكَرِهَهُ ٱلنَّاسُ ، وَكَفُّوا عَنْ مُعامَلَتِهِ . فَكَسَدَتْ صِناعَتُهُ ، وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَصارَ ٱلنَّاسُ يَحْذَرُونَهُ وَيُحَذِّرُونَ غَيْرَهُمْ مِنْ مُعامَلَتِهِ .

٣ — إفْلاسُ «أَبِي قِيرٍ»

وَكانَ مِنْ عادَتِهِ إِذا جاءَهُ أَحَدٌ بِثَوْبٍ — لِيَصْبُغَهُ لَهُ — أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ ٱلْأَجْرَ مُقَدَّمًا ، بَعْدَ أَنْ يُوهِمَهُ أَنهُ سَيَشْتَرِى بِهِ أَصْباغًا . فَإِذا ٱنْصَرَفَ صاحِبُ ٱلثَّوْبِ ذَهَبَ «أَبُو قِيرٍ» بِالثَّوْبِ إِلَى ٱلسُّوقِ ، فَباعَهُ وَٱشْتَرَى — بِثَمَنِهِ وَبِما أَخَذَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ — ما شاءَ مِنْ أَطْيَبِ ٱلْمَآكِلِ وَٱلْحَلْواءِ .

فَإِذا عادَ إِلَيْهِ صاحِبُ ٱلثَّوْبِ ماطَلَهُ ، وَتَعَلَّلَ لَهُ بِأَعْذارٍ كاذِبَةٍ : يَدَّعِى — فِى ٱلْيَوْمِ ٱلْأَوَّلِ — أَنَّهُ كانَ مَشْغُولًا بِبَعْضِ الضُّيُوفِ ، وَيَزْعُمُ — فِى الْيَوْمِ الثَّانِى — أَنَّ زَوْجَهُ وَلَدَتْ ، وَهٰكَذا ؛ حَتَّى يَمَلَّ صاحِبُ الثَّوْبِ ، فَيَطْلُبَهُ مِنْهُ لِيَصْبُغَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ . وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُ «أَبُو قِيرٍ» :

«الْحَقُّ يا صاحِبِي أَنَّنِي خَجِلٌ مِنْكَ جِدًّا . وَلَسْتُ أَرَى بُدًّا مِنْ مُكاشَفَتِكَ بِالْحَقِيقَةِ . فَقَدْ صَبَغْتُ ثَوْبَكَ أَحْسَنَ صَبْغٍ ، وَبَذَلْتُ جُهْدِيَ كُلَّهُ فِى إِتْقانِهِ . ثُمَّ جاءَ لِصٌّ خَبِيثٌ فَسَرَقَهُ

– لِسُوءِ الْحَظِّ – مِنْ دُكَّانِى . فَبَحَثْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَجِدْهُ » .

فَيَنْصَرِفُ صاحِبُ الثَّوْبِ إذا جازَتْ عَلَيْهِ حِيلَتُهُ ، أَوْ يَتَشاجَرُ مَعَهُ إذا ارْتابَ (أَىْ : شَكَّ) فِي قَوْلِهِ ، ثُمَّ لا يَظْفَرُ مِنْهُ بِشَىْءٍ عَلَى الْحالَيْنِ .

وَما زالَ كَذٰلِكَ حَتَّى عَلِمَ بِهِ الْقاضِى ، فَأَمَرَ بِإِغْلاقِ دُكَّانِهِ ، حَتَّى يَأْمَنَ النَّاسُ شَرَّهُ .





٤ — الْعَزْمُ عَلَى السَّفَرِ

وَكانَ «أَبُو صِيرٍ» يَرَى مُماطَلَةَ جارِهِ وَهَرَبَهُ مِنْ أَداءِ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحابِها ، فَيَنْصَحُ لَهُ بِالِاسْتِقامَةِ ، فَلا يَسْمَعُ لَهُ قَوْلًا . فَلَمَّا أَغْلَقَ الْقاضِى دُكَّانَ «أَبِى قِيرٍ» ، قالَ لِصاحِبِهِ «أَبِى صِيرٍ» : «مالَنا وَلِهٰذا الْمَكانِ؟ أَلَيْسَ خَيْرًا لَنا أَنْ نُسافِرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، لَعَلَّنا نَجِدُ رِزْقًا أَحْسَنَ مِمَّا وَجَدْناهُ فِى هٰذا الْبَلَدِ ؟» وَكانَ «أَبُو صِيرٍ» — كَما قُلْنا — يَشْكُو الْكَسادَ ، وَيُفَكِّرُ فِى السَّفَرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، فارْتاحَ لِكَلامِ صاحِبِهِ ، وَوافَقَهُ عَلَى السَّفَرِ .

فَقالَ لَهُ «أَبُو قِيرٍ» : «عاهِدْنِى إِذَنْ عَلَى أَنْ نَعْمَلَ بِجِدٍّ ، وَنَقْسِمَ بَيْنَنا كُلَّ ما نُصِيبُ مِنَ الرِّزْقِ بِالسَّوِيَّةِ» .

فَعاهَدَهُ «أَبُو صِيرٍ» عَلَى ذٰلِكَ ، وَباعَ دُكَّانَهُ ، وَاسْتَعَدَّ لِلسَّفَرِ مَعَهُ بِأَوَّلِ سَفِينَةٍ تَقُومُ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .





٥ — فِي السَّفِينَةِ

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلائِلَ رَكِبَ «أَبُو صِيرٍ» وصاحِبُهُ سَفِينَةً كَبِيرَةً فِيها كَثِيرٌ مِنَ الْمُسافِرِينَ . ولَمَّا صارَتِ السَّفِينَةُ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ ، نَشِطَ «أَبُو صِيرٍ» إِلَى الْعَمَلِ . فَقَامَ — ومَعَهُ أَدَواتُهُ — لِيَبْحَثَ بَيْنَ رُكَّابِ السَّفِينَةِ عَنْ عَمَلٍ لَهُ . فَناداهُ أَحَدُ الْمُسافِرِينَ لِيَحْلِقَ لَهُ رأْسَهُ . وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ أَعْطاهُ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ وَالْمالِ . وَدَعاهُ ثانٍ وَثالِثٌ ، فَلَمَّا انْقَضَى النَّهارُ عادَ «أَبُو صِيرٍ» إِلَى صاحِبِهِ — وَمَعَهُ طَعامٌ كَثِيرٌ — فَأَكَلا مَعًا . وَكانَ «أَبُو قِيرٍ» يُقْبِلُ عَلَى الأَكْلِ بِشَهِيَّةٍ عَجِيبَةٍ ، وَشَرَهٍ لا مَثِيلَ لَهُ . وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي دَعاهُ رُبَّانُ السَّفِينَةِ لِيَحْلِقَ لَهُ . وَسُرَّ مِنْ أَدَبِهِ وَمَهارَتِهِ ، فَدَعاهُ وَصاحِبَهُ إِلَى الأَكْلِ عَلَى مائِدَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ . وَكانَ «أَبُو صِيرٍ» لا يَتَوانَى عَنِ الْعَمَلِ ، فَكانَ يَحْلِقُ كُلَّ يَوْمٍ لِبَعْضِ الْمُسافِرِينَ ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ أَجْرَهُ ، وَلا يَضَنُّ عَلَى صاحِبِهِ «أَبِي قِيرٍ» بِشَيْءٍ يَطْلُبُهُ ، حَتَّى وَصَلَتِ السَّفِينَةُ — بَعْدَ

عِشْرِينَ يَوْمًا — إلى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ ، فَنَزَلَ «أَبُو صِيرٍ» مَعَ صاحِبِهِ إِلَيْها .

٦ — فِي الْمَدِينَةِ

وَلَمَّا طافا بِأَسْواقِها وجَداها مُزْدَحِمَةً بِالتُّجّارِ والصُّنّاعِ ، فَعزَما عَلَى الْإِقامَةِ فِيها أَيّامًا . واسْتَأْجَرَ «أَبُو صِيرٍ» غُرْفَةً صَغِيرَةً فِي أَحَدِ الْفَنادِقِ لِيُقِيمَ فِيها مَعَ صاحِبِهِ . وَكانَ «أَبُو صِيرٍ» يُبَكِّرُ فِي الْقِيامِ مِنَ النَّوْمِ فَيَرَى صاحِبَهُ لا يَزالُ نائِمًا . فإِذا أَيْقَظَهُ تَظاهَرَ بِالضَّعْفِ والْمَرَضِ . فَيَخْرُجُ «أَبُو صِيرٍ» وَحْدَهُ إِلى الْمَدِينَةِ يَتَلَمَّسُ رِزْقَهُ خِلالَ النَّهارِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى صاحِبِهِ بِالطَّعامِ ، فَيَأْكُلُهُ بِشَرَهٍ غَرِيبٍ . وَما زالَ كَذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ . ثُمَّ مَرِضَ «أَبُو صِيرٍ» ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ وَالضَّعْفُ ، فَعَجَزَ عَنِ الْخُرُوجِ ، وَلَزِمَ الْفِراشَ . فَلَمَّا جاءَ الْيَوْمُ التّالِي ، بَحَثَ «أَبُو قِيرٍ» فِي الْغُرْفَةِ عَنْ طَعامٍ يَأْكُلُهُ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَرَأَى صاحِبَهُ «أَبا صِيرٍ» مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ . فَظَلَّ يُفَتِّشُ فِي ثِيابِ

«أَبِي صِيرٍ» حَتَّى عَثَرَ عَلَى كِيسِ نُقُودِهِ ، فَأَخَذَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ وَأَغْلَقَ بابَ الْغُرْفَةِ عَلَى صاحِبِهِ «أَبِي صِيرٍ» ، وَعَزَمَ عَلَى الْهَرَبِ مِنْهُ .



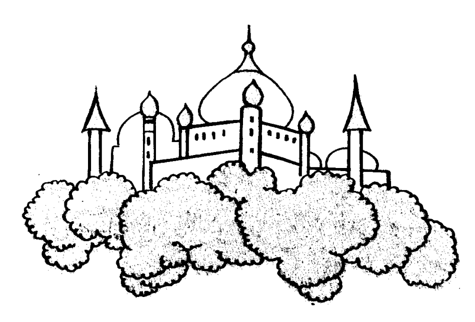
٧ – مَصْبَغَةُ «أَبِي قِيرٍ»

ثُمَّ مَشَى «أَبُو قِيرٍ» فِي أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى دُكَّانَ صَبَّاغٍ . فَوَقَفَ يَتَأَمَّلُ فِي الثِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ ، وَهُوَ يَتَعَجَّبُ أَشَدَّ الْعَجَبِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الدُّكَّانِ إِلَّا اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ وَحْدَهُ . فَتَأَمَّلَ فِي مَلابِسِ الْمارَّةِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ ، وَاللَّوْنَ الْأَبْيَضَ . فَازْدادَ عَجَبُهُ ، وَأَخْرَجَ مِنْدِيلَهُ الْأَبْيَضَ ، وَطَلَبَ مِنَ الصَّبَّاغِ أَنْ يُلَوِّنَهُ لَهُ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ . فَقالَ لَهُ الصَّبَّاغُ : «نَحْنُ لا نَعْرِفُ إِلَّا اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ» . فَعَظُمَتْ دَهْشَةُ «أَبِي قِيرٍ» ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَهُ أَجِيرًا عِنْدَهُ ، لِيُعَلِّمَهُ كَيْفَ يَصْبُغُ بِالْأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأُخْرَى . فَرَفَضَ الصَّبَّاغُ ، وَقالَ لَهُ :

«نَحْنُ لا نَقْبَلُ – فِي هٰذِهِ الصِّناعَةِ – غَرِيبًا عَنَّا» .

فَذَهَبَ إِلَى صَبَّاغٍ ثانٍ وَثالِثٍ وَرابِعٍ ، فَلَقِيَ مِنْهُمْ مِثْلَ ما لَقِيَهُ مِنَ الصَّبَّاغِ الْأَوَّلِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يُنْشِئَ مَصْبَغَةً ، لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ما مَعَهُ مِنَ النُّقُودِ . فَذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَبَسَطَ لَهُ شَأْنَهُ .

فَسُرَّ الْمَلِكُ مِنْ فِكْرَتِهِ ، وَأَمَرَ بِبِناءِ مَصْبَغَةٍ كَبِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْسَنِ شَوارِعِ الْمَدِينَةِ وَفْقَ ما يَشْتَهِي . وأَحْضَرَ لَهُ كَثِيرًا مِنَ الثِّيابِ لِيَصْبُغَها لَهُ ، فَصَبَغَها أَحْسَنَ صَبْغٍ بِأَلْوانٍ مُخْتَلِفَةٍ . فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ ، وَكافَأَهُ أَحْسَنَ مُكافَأَةٍ . وَأَقْبَلَ الْأُمَراءُ وأَعْيانُ الْمَدِينَةِ عَلَى مَصْبَغَتِهِ ، فَراجَتْ صِناعَتُهُ ، وَكَثُرَ مالُهُ ، وَأَصْبَحَ مِنْ كِبارِ الْأَغْنِياءِ . ولَمْ يُفَكِّرْ لَحْظَةً واحِدَةً فِي صاحِبِهِ «أَبِي صِيرٍ» الَّذِي أَطْعَمَهُ وآواهُ ، وَبَذَلَ لَهُ كُلَّ ما يَسْتَطِيعُ مِنَ الْمُساعَدَةِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ وَفَقْرِهِ .



٨ – مُقابَلَةُ الصَّدِيقَيْنِ

أَمَّا «أَبُو صِيرٍ» فَقَدْ لَزِمَ فِراشَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهُوَ لا يَسْتَطِيعُ الْحَراكَ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ ، حَتَّى فَطَنَ إِلَيْهِ صاحِبُ الْفُنْدُقِ . فَذَهَبَ إِلَى غُرْفَتِهِ فَرَآها مُغْلَقَةً . فَبَحَثَ عَنْ مِفْتاحٍ يَفْتَحُها بِهِ ، وَلَمَّا رَأَى «أَبا صِيرٍ» وَهُوَ مَنْهُوكُ الْقُوَى مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ ، عَطَفَ عَلَيْهِ وَرَقَّ لَهُ قَلْبُهُ ، وَوَكَّلَ بِهِ خادِمًا يَخْدُمُهُ . وبَحَثَ «أَبُو صِيرٍ» عَنْ كِيسِ نُقُودِهِ لِيُعْطِيَ صاحِبَ الْفُنْدُقِ شَيْئًا مِنَ الْمالِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَقالَ لَهُ صاحِبُ الْفُنْدُقِ : «لا يَحْزُنْكَ ذٰلِكَ يا أَخِي ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي حاجَةٍ إِلَى الْمالِ» . وَما زالَ صاحِبُ الْفُنْدُقِ يُؤَاسِّي «أَبا صِيرٍ» وَيُعْنَى بِأَمْرِهِ – عِدَّةَ أَشْهُرٍ – حَتَّى شُفِيَ مِنْ مَرَضِهِ ، وَعادَ إِلَيْهِ نَشاطُهُ وَقُوَّتُهُ فَخَرَجَ مِنَ الْفُنْدُقِ ، وَمَشَى فِي إِحْدَى أَسْواقِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى زِحامًا شَدِيدًا أَمامَ مَصْبَغَةٍ كَبِيرَةٍ . وَنَظَرَ فِي الْمَصْبَغَةِ فَرَأَى كَثِيرًا مِنَ الْخَدَمِ عَلَيْهِمْ أَفْخَرُ الثِّيابِ . وَرَأَى صَدِيقَهُ «أَبا قِيرٍ» جالِسًا فِي صَدْرِ الْمَكانِ – وَهُوَ

يَأْمُرُ وَيَنْهى – فَفرِحَ «أَبُو صِيرٍ» أَشَدَّ الْفَرَحِ بِما نالَهُ صَدِيقُهُ مِنَ النَّجاحِ وَالتَّوْفِيقِ . وَقالَ فِي نَفْسِهِ : « لَعَلَّهُ شُغِلَ عَنِّي طُولَ هٰذِهِ الْمُدَّةِ بِتَنْظِيمِ هٰذِهِ الْمَصْبَغَةِ الْكَبِيرَةِ ! وَلا شَكَّ أَنَّهُ سَيَفْرَحُ أَشَدَّ الْفَرَحِ حِينَ يَرانِي ، بَعْدَ أَنْ شُفِيتُ مِنْ مَرَضِي ! » ثُمَّ دَخَلَ «أَبُو صِيرٍ» لِيُهَنِّئَ صاحِبَهُ بِما نالَهُ مِنَ النَّجاحِ وَالتَّوْفِيقِ . وَلٰكِنْ خابَ ظَنُّهُ . فَما كادَ يَراهُ «أَبُو قِيرٍ» حَتَّى صاحَ بِهِ غاضِبًا : «أَلا تَزالُ – أَيُّها اللِّصُّ الْخَبِيثُ – تَتَسَلَّلُ إِلَى مَصْبَغَتِي لِتَسْرِقَ الثِّيابَ مِنْها ؟ أَلَمْ يَكْفِكَ ما سَرَقْتَهُ مِنِّي فِي الْمَرّاتِ السّابِقَةِ ؟ وَاللهِ لا بُدَّ مِنْ عِقابِكَ حَتَّى لا تَعُودَ إِلَى السَّرِقَةِ بَعْدَ هٰذا الْيَوْمِ» . ثُمَّ أَمَرَ غِلْمانَهُ بِضَرْبِهِ ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبًا مُوجِعًا حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ ، ثُمَّ أَلْقَوْا بِهِ فِي الطَّرِيقِ .

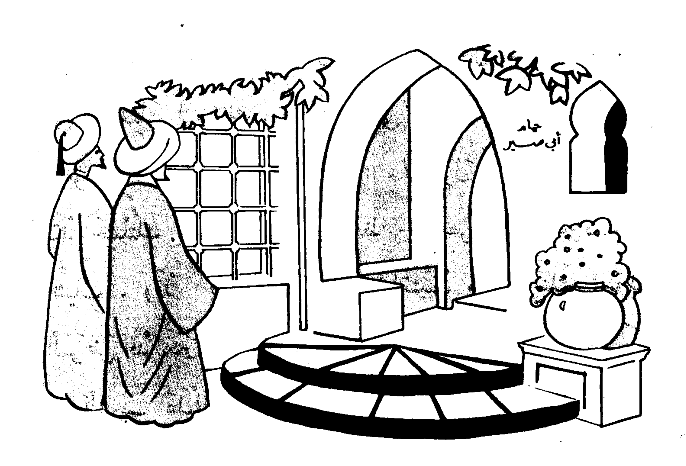


٩ – حَمَّامُ «أَبِي صِيرٍ»

ولَمَّا أَفاقَ «أَبُو صِيرٍ» عادَ إِلَى غُرْفَتِهِ مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا مِمَّا حَدَثَ لَهُ . ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي يَبْحَثُ عَنْ حَمَّامٍ يَسْتَحِمُّ فِيهِ ، فَلَمْ يَجِدْ . فَسَأَلَ النَّاسَ : أَيْنَ يَسْتَحِمُّونَ ؟ فَقالُوا لَهُ : «إِنَّنا نَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ لِنَسْتَحِمَّ فِيهِ» . فَقالَ فِي نَفْسِهِ : «إِنَّ جَمالَ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ لا يَتِمُّ إِلَّا إِذا أُنْشِئَ فِيها حَمَّامٌ» . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَشَرَحَ لَهُ فِكْرَتَهُ . فَرَضِيَ عَنْها ، وَأَمَرَ بِبِناءِ حَمَّامٍ فَخْمٍ – فِي أَحْسَنِ مَكانٍ فِي الْمَدِينَةِ – وَفْقَ ما يَشْتَهِي «أَبُو صِيرٍ» . وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ بِنائِهِ وَإِعْدادِهِ ، ذَهَبَ «أَبُو صِيرٍ» إِلَى الْمَلِكِ ، ودَعاهُ إِلَى زِيارَةِ حَمَّامِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ الْحَمَّامَ سُرَّ مِنْ نِظامِهِ وَنَظافَتِهِ ، وَأُعْجِبَ بِذَكاءِ «أَبِي صِيرٍ» وأَدَبِهِ إِعْجابًا كَبِيرًا . ثُمَّ خَرَجَ الْمَلِكُ – بَعْدَ أَنِ اسْتَحَمَّ فِيهِ – مَسْرُورًا راضِيًا . وَكافَأَ «أَبا صِيرٍ» أَحْسَنَ مُكافَأَةٍ . وَفِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ زارَ الْأُمَراءُ والْوُزَراءُ وأَعْيانُ الْمَدِينَةِ

حَمَّامَ «أَبِي صِيرٍ» ، وَأُعْجِبُوا بِهِ الْإِعْجابَ كُلَّهُ . وَكانَ يُكْرِمُهُمْ غايَةَ الْإِكْرامِ ، فَأَحَبُّوهُ جَمِيعًا . وتَتابَعَ النَّاسُ عَلَى حَمَّامِهِ .

وَلَمْ يَنْسَ «أَبُو صِيرٍ» صاحِبَ الْفُنْدُقِ الَّذِي أَساءَهُ فِي مَرَضِهِ ، فَدَعاهُ إِلَى زِيارَتِهِ وأَكْرَمَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْهَدايا الْفاخِرَةِ والنَّفائِسِ الْغالِيَةِ .



١٠ — «أَبُو قِيرٍ» يَزُورُ الْحَمَّامَ

وَسَمِعَ «أَبُو قِيرٍ» بِحَمَّامِ صاحِبِهِ ٱلَّذِى ذاعَ صِيتُهُ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَكَدْ يَرَى صاحِبَهُ «أَبا صِيرٍ» حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَعانَقَهُ ، مُتَناسِيًا إِساءَتَهُ إِلَيْهِ وَضَرْبَهُ وَطَرْدَهُ . وَقالَ لَهُ : «أَهٰذِهِ يا أَخِى هِىَ حُقُوقُ الصُّحْبَةِ ؟ أَهٰكَذا يَنْسَى الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ ؟ لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْكَ فِى كُلِّ مَكانٍ فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَيْكَ ، فَأَيْنَ كُنْتَ ؟» فَتَعَجَّبَ «أَبُو صِيرٍ» مِنْ كَلامِ صاحِبِهِ ، وَقالَ لَهُ : «أَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى مَصْبَغَتِكَ لِزِيارَتِكَ ، وَكانَ نَصِيبِىَ الْإِهانَةَ وَالطَّرْدَ ؟» فَتَظاهَرَ «أَبُو قِيرٍ» بِالْأَسَفِ ، وَقالَ لَهُ : «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ ! لَقَدْ حَسِبْتُكَ يا أَخِى — لِسُوءِ الْحَظِّ — اللِّصَّ ٱلَّذِى تَعَوَّدَ سَرِقَةَ الثِّيابِ . وقَدْ كُنْتُ مَشْغُولاً فَلَمْ أَتَثَبَّتْ مِنْ رُؤْيَتِكَ ! وَلَعَلَّ الْمَرَضَ قَدْ غَيَّرَ مِنْ مَلامِحِ وَجْهِكَ ، فَلَمْ أَعْرِفْكَ ! وَلَقَدْ كانَ مِنَ الْواجِبِ عَلَيْكَ أَنْ تُنَبِّهَنِى إِلَى خَطَئِى — حِينَئِذٍ — وَتَذْكُرَ لِى اسْمَكَ لِأُقابِلَكَ بِما أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ التَّرْحِيبِ والْإِكْرامِ» .

١١ – نَصِيحَةُ «أَبِى قِيرٍ»

وَلَمَّا سَمِعَ «أَبُو صِيرٍ» كَلامَ صاحِبِهِ ، حَسِبَهُ صادِقًا فِى دَعْواهُ فَعَذَرَهُ ، وَأَكْرَمَهُ كُلَّ الْإِكْرامِ . وَلَمَّا سَأَلَهُ «أَبُو قِيرٍ» عَنْ سَبَبِ إِنْشائِهِ هٰذا الْحَمَّامَ ، قَصَّ عَلَيْهِ «أَبُو صِيرٍ» قِصَّتَهُ كُلَّها . فَقالَ لَهُ «أَبُو قِيرٍ» : «ولٰكِنَّكَ نَسِيتَ شَيْئًا واحِدًا لا يَكْمُلُ حَمَّامُكَ إِلَّا بِهِ !» فَقالَ لَهُ «أَبُو صِيرٍ» : «وَما هُوَ؟» فَقالَ لَهُ : «أَنْتَ حَلَّاقٌ ذَكِيٌّ ماهِرٌ فِى صِناعَتِكَ . فَلَوْ حَلَقْتَ لِلْمَلِكِ – حِينَ يَزُورُ حَمَّامَكَ – لَزادَ بِذٰلِكَ سُرُورُهُ مِنْكَ» . فَحَسِبَهُ «أَبُو صِيرٍ» مُخْلِصًا فِى نَصِيحَتِهِ ، وَشَكَرَها لَهُ ، وَوَعَدَهُ بِتَحْقِيقِها .

١٢ – وِشايَةُ «أَبِى قِيرٍ»

وَلَمَّا خَرَجَ «أَبُو قِيرٍ» مِنْ حَمَّامِ صاحِبِهِ ، ذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَلِكِ ، وَقالَ لَهُ : «لَيْسَ فِى قُدْرَتِى يا مَوْلاىَ أَنْ أَكْتُمَ عَنْكَ حَقِيقَةَ هٰذا الرَّجُلِ الْخَبِيثِ الْماكِرِ ، فَقَدْ جاءَ هٰذا الْبَلَدَ لِقَتْلِكَ .»

فَدَهِشَ الْمَلِكُ ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُ . فَقالَ لَهُ «أَبُو قِيرٍ» : «إِنِّى أَعْرِفُ هٰذا الرَّجُلَ . وَقَدْ أَخْبَرَنِى أَنَّ مَلِكَ الْجَزائِرِ - الَّذِى انْتَصَرْتَ عَلَيْهِ فِى الْعامِ الْماضِى وَقَهَرْتَهُ - أَوْفَدَهُ إِلَى مَدِينَتِكَ لِيَحْتالَ لِقَتْلِكَ ؛ وَوَعَدَهُ بِمُكافَأَةٍ عَظِيمَةٍ إِذا نَجَحَ فِى مَكِيدَتِهِ . فَاحْذَرْهُ - يا مَوْلاىَ - وَاحْمَدِ اللهَ عَلَى نَجاتِكَ مِنْ شَرِّهِ فِى الْمَرَّةِ الْأُولَى» .

فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ : «وَما هِىَ الْمَكِيدَةُ الَّتِى دَبَّرَها لِقَتْلِى ؟» فَقالَ لَهُ : «سَيَدْعُوكَ إِلى زِيارَةِ حَمَّامِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ يَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ حَلّاقٌ ماهِرٌ ، وَإِنَّ الِاسْتِحْمامَ لا يَتِمُّ إِلَّا بِالْحِلاقَةِ . وَقَدْ أَعَدَّ لِقَتْلِكَ مُوسَى ماضِيَةً مَسْمُومَةً» .

١٣ - غَضَبُ الْمَلِكِ عَلَى «أَبِى صِيرٍ»

وَفِى الْيَوْمِ التّالِى ذَهَبَ «أَبُو صِيرٍ» إِلَى الْمَلِكِ وَدَعاهُ إِلَى زِيارَةِ حَمَّامِهِ ، وَلَمّا عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْلِقَ لَهُ ، وَرَأَى فِى يَدِهِ مُوسَى الْحِلاقَةِ حَسِبَ «أَبا قِيرٍ» صادِقًا فِى وِشايَتِهِ . فَغَضِبَ عَلَى

«أَبِى صِيرٍ» غَضَبًا شَدِيدًا ، وَأَمَرَ كَبِيرَ الْخَدَمِ أَنْ يَضَعَهُ فِى غِرارَةٍ ، (أَىْ : زَكِيبَةٍ) ، ثُمَّ يُلْقِيَهُ فِى الْبَحْرِ . وَوَقَفَ الْمَلِكُ فِى النَّافِذَةِ لِيَرَاهُ .

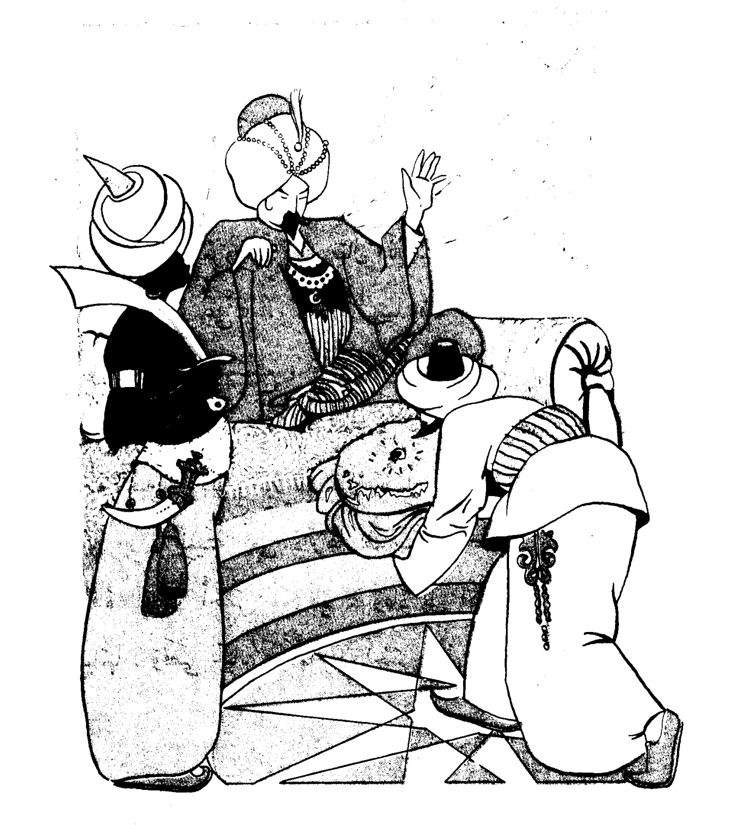


١٤ — خاتَمُ الْمُلْكِ

وَكانَ كَبيرَ الْخَدَمِ يُحِبُّ «أَبا صِيرٍ» لِأَدَبِهِ وَمُرُوءَتِهِ . فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَخْتَبِئَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ يُسافِرَ إِلَى بَلَدِهِ فِي أَوَّلِ سَفِينَةٍ قادِمَةٍ حَتَّى لا يَراهُ الْمَلِكُ . وَذَهَبَ كَبيرُ الْخَدَمِ فَمَلَأَ الْغِرارَةَ (أَي : الزَّكِيبَةَ) حِجارَةً وَرَمْلاً : وَوَقَفَ عَلَى شاطِئِ الْبَحْرِ تَحْتَ نافِذَةِ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ . وَأَشارَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ أَنْ يُلْقِيَ الْغِرارَةَ فَأَلْقاها ، وَسَقَطَ خاتَمُ الْمُلْكِ مِنْ إِصْبَعِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ يُشِيرُ بِهِ إِلَى كَبيرِ الْخَدَمِ . فَعادَ الْمَلِكُ وَهُوَ مَغْمُومٌ أَشَدَّ الْغَمِّ . وَجَلَسَ «أَبُو صِيرٍ» عَلَى شاطِئِ الْبَحْرِ يَصْطادُ السَّمَكَ ، فَاصْطادَ سَمَكًا كَثِيرًا . وَلَمَّا شَقَّ السَّمَكَةَ الْأُولَى وَجَدَ فِيها خاتَمَ الْمُلْكِ فَلَبِسَهُ ، وَلَمَّا عادَ كَبيرُ الْخَدَمِ إِلَى بَيْتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ خادِمًا ، فَأَشارَ إِلَيْهِ «أَبُو صِيرٍ» أَنْ يَحْمِلَ السَّمَكَ ، فَسَقَطَ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ . فَدَهِشَ «أَبُو صِيرٍ» أَشَدَّ دَهْشَةٍ .

١٥ — عاقِبَةُ الْخِيانَةِ

وَلَمَّا جاءَهُ كَبيرُ الْخَدَمِ ، وَرَأَى الْخاتَمَ فِي إِصْبَعِهِ قالَ لَهُ :



« احْذَرْ أَنْ تُشِيرَ بِخاتَمِكَ وَإِلّا أَهْلَكْتَنِي ، فَإِنَّ مَلِكَنا لا يَحْكُمُ الرَّعِيَّةَ إِلّا بِهِ ، وَهُوَ إذا أَشارَ بِهِ إِلَى أَيِّ إِنْسانٍ قَتَلَهُ مِنْ وَقْتِهِ . وَفِي اسْتِطاعَتِكَ أَنْ تَصِيرَ مَلِكَ الْمَدِينَةِ الآنَ » فَذَهَبَ « أَبُو صِيرٍ » إِلَى الْمَلِكِ وَأَعادَ إِلَيْهِ الْخاتَمَ . فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ : « قُلْ لِي بِماذا أُكافِئُكَ عَلَى مَعْرُوفِكَ ؟ » فَقالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ يا مَوْلاىَ سَبَبَ غَضَبِكَ عَلَيَّ » . فَأَخْبَرَهُ بِما قالَهُ « أَبُو قِيرٍ » . فَعَجِبَ « أَبُو صِيرٍ » مِمّا سَمِعَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ مَعَهُ فَغَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى « أَبِي قِيرٍ » ، وَأَمَرَ بِوَضْعِهِ فِي غِرارَةٍ ، وَإِلْقائِهِ فِي الْبَحْرِ . وَشَفَعَ فِيهِ « أَبُو صِيرٍ » فَلَمْ يَقْبَلِ الْمَلِكُ شَفاعَتَهُ . وَماتَ « أَبُو قِيرٍ » الْمِيتَةَ الَّتِي دَبَّرَها لِصاحِبِهِ . أَمّا « أَبُو صِيرٍ » فَقَدْ كافَأَهُ الْمَلِكُ أَحْسَنَ مُكافَأَةٍ . وَعادَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَصارَ مِنْ أَغْنِيائِها . وَقَضَى حَياتَهُ كُلَّها عَلَى أَحْسَنِ حالٍ ، وَأَهْنَإِ بالٍ .

انتهت القصة الثانية

القصة الثالثة : على بابا

رقم الإيداع		١٩٩١ / ٤٣٣١
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3322 - 6	ISBN

١ / ٩١ / ١١٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)